وطن الشموخ

أ. عادل بن عبدالله البواردي

كلما عادت ذكرى يوم الوطن الغالية، ذكرتنا بأننا نحيا على أرض وطن الشموخ، وطن الإباء، وطن العزة والكرامة الذي لفظ الاحتلال، وألقى به وبجنوده وعتاده خارج حدوده المنيعة، رفض الاحتلال على رغم ما لبسه له من أقنعه، رفضه حين جاءه بالقوة والجيوش، ورفضه حين ارتدى له قناع الصديق. نعم إنه وطن الكرامة الذي لم يقبل إنسانه الضيم يوماً، ولم يحن جبهته لغير بارئه ومدبر أمره، الذي جعل له من بعد العسر يسرا، ومن الضيق مخرجاً، ومن بعد الجدب والقحط نعماً ظاهرة وباطنة تحوض فيها حوضاً. فالله نسأل أن يرزقنا شكرها، وأن يعيننا على حفظها وصونها، وألا يجعلنا من البطرين.

إن أغلى ما في هذه الذكرى العطرة، وأروع ما في هذا العهد العبق، عهد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، أنه كان بالنسبة إلى بلادنا ذلك البرزخ الذي عبرت عليه من آلام الماضي وظلامه وجهالاته وظروفه الصعبة إلى رحاب الحاضر المشرق على ربوع خرجت لنور العلم والتحضر، بعدما أمضت قروناً معزولة عن العالم، محرومة من نور المدنية التي سطعت على الدنيا، ونحن غارقون في صراعاتنا وثاراتنا القبلية وخرافاتنا، إلى أن أراد الله سبحانه وتعالى خيراً بالعباد، فأشرقت على ربوع بلادنا دعوة الإصلاح التي حمل مشعلها أئمة آل سعود إماما تلو إمام، وكلما أوقدوا شمعة في ظلام ذلك التاريخ السحيق الغابر أطفأتها قوى البغي المارقة، التي لم تكن تريد الخير لبلادنا، إلى أن جاء الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بمشعله النور القوي، الذي عبر به ظلام ذلك التاريخ وخلفه رجاله الأقوياء، يزأرون في ليل الوطن كالأسود، وشيئا فشيئا طردوا خفافيش الظلام، وأظهرهم الله على من دونهم، وبايع العباد عبدالعزيز على بيعة أبيه، وانطلق الابن المبارك بدعاء والده الإمام عبدالرحمن يطهر بلاده من رجس البدع والشركيات، ويحلم بغدها الجديد، غدها المشرق الذي نعيشه نحن اليوم، ولم يعشه عبدالعزيز، فأمثال هؤلاء العظماء يدفعون حياتهم ثمنا ليعيش غيرهم، ويسقطون شهداء وأعينهم تنظر بابتسامتها إلى راية بلادهم خفاقة على أرض المعارك، إننا اليوم نحصد ما غرسته يد المؤسس الخيرة، التي علمتنا كيف نزرع دوحة الوطن، وكيف نرعاها لتنمو وتثمر وتمتد ظلالها على حاضرنا ومستقبلنا ومستقبل أبنائنا.لكن ما لا ينبغي أن ننساه أيضا أن هذا الإنجاز الكبير، وهذا الصرح الذي وضع المؤسس لبناته الأولى، ما كان ليبقى من بعده لولا أن هيأ الله له رجالاً أقوياء هم أبناؤه ملوك الدولة السعودية، الذين حافظوا على عهد والدهم وحفظوا أمانته، بطلاً من بعد بطل، إلى أن تسلم الراية البطل الأمين عبدالله بن عبدالعزيز، الذي يعيش أوطاننا في عهده، واحداً من أزهى عهودها، وأبهى عصورها، يعضده أخوه وساعده سلطان بن عبدالعزيز ولي عهد بلادنا، ويؤازرهما أخوهما صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، الحارس الأمين وحصن الوطن الحصين.